مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

المهاجر المغربي في إيطاليا:
أسئلة الروابط الاجتماعية، الاندماج والحركية المجالية
دراسة سوسيو-أنثربولوجية

محمد شهيد
باحث مغربي

2025

- **بحث محكم**
- **قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة**
- 2025-06-02

جميع الحقوق محفوظة © 2025

المهاجر المغربي في إيطاليا:
أسئلة الروابط الاجتماعية، الاندماج والحركية المجالية

دراسة سوسيو-أنثربولوجية

الملخص

شكل المجتمع الإيطالي في العقود الخمسة الأخيرة نقطة وصول جاذبة لمهاجرين مغاربة، بفعل العوامل السوسيو-اقتصادية الطاردة والجاذبة المتداخلة بين المجتمعين؛ إذ شكلت هذه الظاهرة محورا لمجموعة من الدراسات الساعية لتفسير وتأويل تلك العلاقة المشكلة تاريخيا، بيد أن معظمها اختزلت الفرد/المهاجر المغربي في كونه «إنسانا اقتصاديا Homo oeconomicus»، وكأنه مستثنىً وغير معني بمخارج وبمآلات التحولات الاجتماعية المعولمة، التي مست بنيات المجتمعات المتوسطية لما بين الضفتين.

توسلت الدراسة الميدانية التي أجريناها حول مدينة بارما الإيطالية، إخضاع الأسئلة التالية للمناولة السوسيولوجية: الكيفيات التي يتم بها بناء الروابط السوسيو-مجالية للمهاجر المغربي داخل المجتمع الإيطالي؟ وكيف تؤثر روابطهم المبنية مع حركيتهم المجالية في إعادة بناء مجالات مدينة الإيطالية؟ وماهي مخارج التفاوض الثقافي بين المهاجرين والإيطاليين على المستوى المجالي والهوياتي؟

اعتمدنا في هذا العمل على عدة منهجية متسلسلة، تنطلق من بناء وصف للبنيات السوسيو-مجالية التي يتموقع داخلها المهاجر المغربي عن طريق الملاحظات المشاركة، إلى تحليل تلك البنيات من خلال المقارنات (بين مجالات العمل ومجالات السكن ومجالات المؤانسة ومجالات العبادة...)، مستحضرين العديد من الإحصاءات الإيطالية الرسمية حول توزيع الكثافات الفيزيقية للأسر المغربية على جهات الدولة الإيطالية، وصولا إلى بناء خطاطة فهمية تنطلق من تفسير الأبعاد الماكروية (البنيات الاقتصادية والاجتماعية) إلى تأويل الميكروي المرتبط باختيارات واستراتيجيات «الذات المهاجر» في بناء روابطه الاجتماعية.

ا. الفرد المغربي في إيطاليا: التاريخ، الديناميات والتوزيع المجالي

1. تاريخ الهجرة المغربية إلى إيطاليا: أيّة قراءة؟

بالنظر إلى تاريخ الهجرة المغربية وإلى تاريخ المجتمع الإيطالي كمستقبل للوفود الهجروية، فإنه يمكن اعتبار الهجرة المغربية نحو إيطاليا هي هجرة لاحقة مقارنة مع الخيارات الأولى الهجروية للفرد المغربي، فمع بداية 70 القرن الماضي ستصبح إيطاليا خيارا هجرويا بديلا وإضافيا عن فرنسا وبلجيكا أمام فئات مغربية مهاجرة محتملة، بفعل المرونة والتسهيلات التشريعية التي نهجتها الحكومات الإيطالية أمام دول الشريط المتوسطي[1]، بالموازاة لعوامل طرد محلية قوية، أجملها التقرير الذي نشرته كل من الوزارة المكلفة بالمغاربة المقمين بالخارج وشؤون الهجرة والقنصلية المغربية بمنطقة رينغو، في توالي سنوات الجفاف التي عرفها المغرب خلال الثمانينيات، وفي مديونية المزارعين[2]. الذين بمجرد وصولهم إلى إيطاليا، شجعوا وافدين آخرين وفقًا للديناميات التقليدية لسلاسل الهجرة، كانوا في الغالب ذكورًا غير متزوجين، لتعيد إنتاج هذه الدينامية فئات جديدة في العقود الموالية من المهاجرين المغاربة لمجتمع الضيعات الفلاحية وللمصانع الإيطالية.

تميز الجيل الأول من المهاجرين المغاربة المستقرين في المجتمع الإيطالي، بتكوين دراسي ومهني محدود ومحدد للغاية، ليشكل هذا التكوين السوسيو-مهني توزيعهم على المجالات الإيطالية، حيث استقرت غالبيتهم في الجنوب، ليتحركوا شيئا فشيئا نحو الشمال، عاطلين عن العمل في الغالب ومدفوعين باليأس، مكونين من باعة متجولين وممتهنين للحرف اليدوية، عمالا للنظافة وعمالا في ضيعات فلاحية، لذلك نجد المخيال الإيطالي لازال يصر على تسمية أي بائع متجول كيفما كانت جنسيته بالمغربي "il marocchino".

ومن ثمانينيات إلى حدود نهاية تسعينيات القرن الماضي، انطلقت تدفقات أخرى من المغرب نحو إيطاليا، ليس فقط من العالم القروي ولكن أيضًا من المدن المغربية؛ أي وصول فئات جديدة تتمتع بتعليم «لا بأس به» مقارنة مع الجيل الأول، بتأهيل مهني، وتتمتع بالقدرة على تعلم اللغة الإيطالية، مستعدين للدخول ليس فقط في عالم الزراعة، ولكن أيضًا في قطاعات الإنتاج الأخرى، مثل البناء والصناعات الصغيرة وخدمات التنظيف ومحطات الوقود والتجارة، وفي القطاعات الأخرى التي كانت في حاجة إلى تَعَب/ قوى عضلية بالتعبير الماركسي. بالموازاة مع ذلك، برزت دينامية جديدة مكونة من الطلبة الذين لم يعودوا قادرين على الوصول إلى البلدان التقليدية للهجرة (كفرنسا التي كانت الخيار الأول للطلبة المغاربة)، حيث وجدوا ممرات نحو الجامعات الإيطالية، فهم اليوم أولئك الذين يلعبون دور الوساطة في إدارات ومكاتب الهجرة أو كمساعدين اجتماعيين.

---

1 La comunita' marocchina in Italia Un ponte sul Mediterraneo, Ricerca curata su incarico del MINISTÈRE CHARGÉ DE LA COMMUNAUTÉ MAROCAINE RÉSIDENTE À L'ÉTRANGER e della AMBASCIATA DEL REGNO DEL MAROCCO IN ITALIA, Consorzio AGE - Pomezia per conto di Inprinting srl dicembre 2013, p. 13

2 Ibidem.

ليشهد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عقدا لتعزيز لمّ شمل الأسر المغربية في إيطاليا، حيث كانت الزيادة ملحوظة في وجود الأطفال، وفي توطيد الروابط بين الأسر المغربية في المجتمع الإيطالي، مدعومة باحتمالية الاندماج المستقر، والذي تمت الموافقة عليه أيضًا على المستوى التنظيمي، من خلال مرحلتين أساسيتين[3]، من خلال ما يسمى بـ «بطاقة الإقامة» (القانون 1998/40)، الذي تم تعديله وفقًا للتوجه الأوروبي بشأن تصريح المفوضية الأوروبية للمقيمين لفترات طويلة (رقم 109 لعام 2003)، والذي دخل حيز التنفيذ الفعلي في إيطاليا سنة 2007.

لتكون الفترة الممتدة ما بين 2005 و2007، فترة طلب فيها المغاربة المقيمون في إيطاليا، التجمع العائلي بما يعادل 1630 طلبا[4]، طلبات صادرة عن الشمال الغربي لإيطاليا، حيث في معظم الحالات يكون التجمع العائلي مُستهدفا للكومونات التي هي ليست عاصمة لأي مقاطعة، حيث يجد المهاجرين مرونة في العثور على سكن بسومة أقل، مقارنة بالمدن الكبرى في الشمال الشرقي الإيطالي، بينما الأمر معاكس في الجنوب يميل الكثيرون إلى التركز في المدن الرئيسة؛ لأنها توفر المزيد من الفرص.

وفيما يلي جدول رقم (1)، لتوزيع كثافات المهاجرين المغاربة من خلال أصولهم القبلية المغربية على الجهات الإيطالية:

Regione marocchina di partenza	*Regione italiana di inserimento*
Chaouia-Ouardigha	**Piemonte, Emila Romagna, Lombardia**
Grande Casablanca	**Emilia Romagna, Piemonte, Lombardia, Veneto**
Tadla Azilah	**Lombardia, Emilia Romagna**
Rabat Salé-Zemour-Zaeer	**Lombardia, Piemonte, Veneto, Emilia**
Marrakeshj-Tensif-El Hauz	**Veneto, Toscana, Emilia Romagna, Lombardia**

FONTE. Carthographie des flux migratoires des marocaines en Italia (OIM, Roma 2010)
(بتصرف الباحث. محمد شهيد)

2. المغربي في مدينة بارما: التوزيع والحركيات المجالية

قدم التقرير الصادر سنة 2020 عن منظمة الهجرة الدولية، مجموعة من الأرقام والمعدلات المرتبطة بالديناميات الهجروية العالمية، حيث انتهى إلى نمو الهجرة الدولية، بل إلى تضاعفها خلال سنة 2019 بمعدل نمو يقارب الثلث ونصف من سكان العالم، بزيادة تلامس 272 مليون مهاجر[5]. كما كشف عن دينامية هجروية

3 La comunita' marocchina in Italia Un ponte sul Mediterraneo, op.cit. p.14

4 Mohamed MGHARI et Mohamed FASSI FIHRI, Cartographie des flux migratoires des Marocains en Italie, op.cit. p. 17

Oliviero Forti, Le migrazioni internazionali IN: Rapporto Immigrazione 2020, CARITAS E MIGRANTES 2020, p. 2 5

جديدة تستهدف دول الخليج، مكونة من عمال مؤهلين في مجالات مهنية ذات استقطاب متزايد، بالإضافة إلى تنامي دينامية هجروية بصيغة المؤنث. فالبحث في تقارير المنظمات العالمية ومراكز البحوث المستأثرة بالهجرة، يؤكد حقيقة أن عالم اليوم أضحى في حالة حركية، حيث 1 مليار من الساكنة العالمية توجد في وضعية هجرة وتنقل من أصل 7 ملايير[6].

وخلال سنة 2019 استقطبت أوروبا ما يقارب 82 مليون مهاجر بزيادة 10% مقارنة مع سنة 2015 (75 مليون مهاجر)[7]، حيث أضحت ألمانيا الدولة الأكثر استقبالا للمهاجرين في نفس الفترة مقارنة مع باقي دول أوروبا، متبوعة بالمملكة المتحدة ثم فرنسا، لتأتي بعدهم إيطاليا رابعة، بتوزيع للكثافات الديموغرافية للمهاجرين على مجالاتها على الشكل الآتي[8]:

- الشمال الغربي ب 38%، 8 من إجمالي المهاجرين في إيطاليا
- الشمال الشرقي 24%، 1 من إجمالي المهاجرين في إيطاليا
- الوسط/ المركز 25%، 3 من إجمالي المهاجرين في إيطاليا
- الجنوب 12%، 1 من إجمالي المهاجرين في إيطاليا
- الجزر 4%، 8 من إجمالي المهاجرين في إيطاليا

معطيات نطرح حولها مجموعة من الأسئلة، كتلك المرتبطة بحقوق المواطنة؛ فهل الفرد في حالة حركية/ هجرة يتمتع بحقوقه كاملة مقارنة مع المستقر؟ وما هي نتائج هذه الديناميات الهجروية الجديدة على المجتمع وعلى المدينة الإيطالية؟ وكيف يبني المهاجر-المغربي روابطه الاجتماعية داخل مجتمع يعرف مدى هجرويا عاليا وحركية متسارعة؟ ومن الناحية الإبستيمولوجية؛ هل تسعفنا المضامين الكلاسيكية لمفهوم الاندماج في تفسير وتأويل المسارات الجديدة للمهاجرين المغاربة؟

على مستوى مدينة بارما، قارب معدل المهاجرين المقيمين بالمدينة أو الأجانب المقيمين سنة 2019، كما تصفهم السجلات الإدارية بمدينة بارما[9] I cittadini stranieri residenti nella provincia della Parma، معدل 64 ألف ومئتي نسمة بتوزيع كالآتي:

---

6 Catherine wihtol de wenden, L'immigration découvrir l'histoire, les évolutions et les tendances des phénomènes migratoires, Groupe Eyrolles Paris 2017

7 Oliviero Forti, Le migrazioni in Europa IN: Rapporto Immigrazione 2020, CARITAS E MIGRANTES 2020, p. 14

8 Fonte: elaborazioni Rapporto Immigrazione Caritas-Migrantes su dati ISTAT.

9 Cittadini stranieri in Emilia-Romagna, Centro stampa Regione Emilia-Romagna, ottobre 2019, p.71

جدول رقم (2)، تمركز المهاجرين الأجانب بإقليم بارما

Distretto	N. stranieri residenti	% su totale popolazione residente
Distretto Valli Taro e Ceno	4.311	*9,7*
Distretto Fidenza	13.676	*13,1*
Distretto Sud Est	9.536	*12,3*
Distretto Parma	36.686	*16,2*
Provincia di Parma	64.209	*14,2*

Fonte: Elaborazione su dati Statistica self-service della Regione Emilia-Romagna
(بتصرف الباحث. محمد شهيد)

يبرز الجدول أعلاه تمركز المهاجرين الأجانب المقيمين في إقليم بارما، حيث تشكل مقاطعة بارما حصة الأسد بما يزيد عن 50% من إجمالي عدد المهاجرين المقيمين بإقليم بارما ككل بنسبة تمركز للمهاجرين المقيمين تبلغ حوالي 16%، 2 مع تفوق نسبي للإناث مقابل الذكور على مستوى مقاطعة بارما[10].

ومن حيث توزيع جنسيات الأجانب المقيمين بجهة إيميليا-رومانيا، نقدم جولا توضيحيا نبرز فيه توزيعهم وتمركزهم.

جدول رقم (3)، توزيع الأجانب المقيمون في مقاطعة بارما وإميليا-رومانيا لأول 20 دولة حسب الجنسية (ترتيبا تنازليا على مستوى مقاطعة بارما) اعتبارًا من 1 يناير 2019. العدد، النسبة المئوية للتوزيع، نسبة النساء والقاصرين، التباينات ب٪ للفترة الممتدة ما بين2018-2019 و2016-2019.

Paese di cittadinanza	N. Residenti	% su tot. residenti stranieri	% Femmine	% Minori	Variazione % 2018-2019	Variazione % 2016-2019	% residenti stranieri in Emilia- Romagna
Romania	9.584	*14,9*	*58,3*	*19,3*	*+6,4*	*+21,4*	*17,3*
Moldova	6.740	*10,5*	*65,6*	*18,0*	*-1,3*	*-8,4*	*5,1*
Albania	6.511	*10,1*	*47,9*	*25,0*	*+1,8*	*-1,0*	*10,6*
Marocco	4.519	*7,0*	*50,7*	*27,7*	*+2,5*	*-2,2*	*11,1*
India	4.220	*6,6*	*44,4*	*24,2*	*+7,0*	*+8,6*	*3,2*
Tunisia	3.358	*5,2*	*39,6*	*30,9*	*+4,8*	*+6,6*	*3,3*
Filippine	3.009	*4,7*	*53,9*	*24,7*	*+2,3*	*+7,6*	*2,6*

10 Cittadini stranieri in Emilia-Romagna, op.cit. p. 73

Nigeria	2.374	*3,7*	*45,7*	*30,3*	*+6,9*	*+31,6*	*2,9*
Ucraina	2.234	*3,5*	*79,4*	*9,5*	*+0,3*	*+2,5*	*6,0*
Senegal	1.915	*3,0*	*28,8*	*21,9*	*+2,9*	*+2,0*	*2,1*
Cina	1.694	*2,6*	*50,4*	*26,2*	*+4,8*	*+23,2*	*5,5*
Ghana	1.666	*2,6*	*43,3*	*27,0*	*+3,2*	*+7,3*	*2,0*
Costa d'Avorio	1.450	*2,3*	*48,3*	*21,9*	*+1,8*	*–1,4*	*0,7*
Pakistan	1.117	*1,7*	*27,4*	*22,6*	*+12,7*	*+41,6*	*4,2*
Camerun	994	*1,5*	*49,6*	*22,8*	*+7,1*	*+18,6*	*0,6*
Sri Lanka	899	*1,4*	*43,0*	*27,9*	*+5,3*	*+23,7*	*1,2*
Ecuador	624	*1,0*	*55,9*	*21,3*	*+2,1*	*–6,4*	*0,7*
Polonia	496	*0,8*	*69,6*	*13,1*	*–1,2*	*–1,8*	*2,0*
Repubblica Dominicana	473	*0,7*	*60,9*	*15,9*	*+6,3*	*–2,3*	*0,4*
Perù	459	*0,7*	*56,4*	*16,8*	*+0,9*	*–5,7*	*0,7*
Totale	64.209	100,0	*51,8*	*21,8*	*+3,7*	*+7,2*	100,0

Fonte: Elaborazione su dati Statistica self-service della Regione Emilia-Romagna
(بتصرف الباحث. محمد شهيد)

فبعد دول رومانيا، مولدوفا وألبانيا التي ارتبطت بتاريخ هجروي ونزوح مع دولة إيطاليا، نجد مباشرة المقيمين الأجانب المغاربة بتفوق طفيف لنسبة الإناث، وبتراجع يتجاوز النقطتين في معدل تزايد الأجانب المقيمين ما بين 2016 و2019، ثم بعد الهند نجد المهاجرين التونسيين بهينمة ذكورية مقابل الهيمنة الأنثوية المغربية، هذا وتشكل نسبة القاصرين التونسيين الأعلى في جهة إيملیا-رومانيا، بتزايد يقارب ست نقاط على مستوى تنامي المهاجرين التونسيين في الجهة، حيث تشكل نسبة المهاجرين المغاربيين (المغاربة والتونسيون) حصة مهمة من إجمالي المهاجرين المقيمين في الجهة مع غياب للمهاجرين الجزائريين ضمن الإحصاء الذي هم 20 جنسية في إقليم بارما، نظرا لتمركزهم في مدن وجهات أخرى[11].

وإلى حدود سنة 2010، ظل توزيع المهاجرين الأفارقة على التراب الإيطالي يميل لغلبة للمهاجرين المغاربيين، حيث نعثر على أربعة مهاجرين مغاربيين من أصل عشرة مهاجرين أفارقة، هذا التوزيع تمثل فيه الجالية المغربية القاعدة الكبرى، فمن أصل عشرة مهاجرين مغاربيين نعثر بينهم على سبعة مغاربة (من المغرب) مقابل (02) تونسيين وواحد (01) جزائري[12]، حيث لا يزال اللسان الإيطالي ينعت كل عربي بأنه مغربي، كما

11 هم هذا البحث المهاجرين المغاربيين (المغاربة، الجزائريين والتونسيين)، لكن اقتصرنا على المسارات الهجروية للمغاربة في هذه المقال الموجه للنشر.

12 Mohamed MGHARI et Mohamed FASSI FIHRI, Cartographie des flux migratoires des Marocains en Italie, Organisation Internationale pour les Migrations (OIM) 2010, p. 9

يرجع هذا التوزيع على هذا النحو بسبب اختيارات المهاجرين المغاربيين، حيث شكلت فرنسا وجهة تاريخية مفضلة للمهاجرين المحتملين الجزائريين.

يتشابه شكل وطريقة الهجرة في كثير من الأحيان بين المهاجرين، ولكن الغاية من الهجرة تتباين من فرد لآخر؛ إذ يمكننا القول دون ارتياب هناك مشروع شخصي من الهجرة نحو إيطاليا، حتى وإن بدا غير واضح بالشكل الكافي.

«هاجرت إلى إيطاليا سنة 2000 بالضبط، (يقول ضاحكا نحن سافرنا فوق الماء إنه يقصد الهجرة غير الشرعية)، الدوافع هي معروفة الفقر، أنا هاجرت من المغرب منتصف 90 القرن الماضي إلى تونس، ومن تونس إلى ليبيا حاولت العديد من المرات الوصول إلى إيطاليا لكن لم يسعفني الحظ، وحاولت من تونس كذلك ولم يكتب لي النجاح، حتى رجعت إلى المغرب وهاجرت من مدينة طنجة نحو إسبانيا[13]».

فالمشروع الشخصي الذي يحمله الفرد في بنياته الذهنية هو الذي يفسر التنقل بين المدن الإيطالية أولا، ثم بين مجالات مدينة بارما ثانيا. كيف ذلك؟

دأبت الكتابات الكلاسيكية على وصم المهاجر بكونه إنسانا اقتصاديا بامتياز، تكون مغادرته نتاجا لبنيات موضوعية ماكرو تتحكم في عوامل الطرد والجذب، إلا أن النظر في المهاجر بصفته فاعلا/ ذاتا، يفرز عن معطيات ميكرو جديدة تمكننا من إقامة تأويلات بديلة.

«لقد تنقلت في مدن الجنوب تقريبا كلها بحثا عن فريق لكرة القدم يحتويني ويحتوي موهبتي، بين نابولي، صقيليا، باري، باليرمو وغيرهم، ولكن وضعيتي دون وثائق كانت عائقا مباشرا أمامي، لكن بلقائي مع إمانويلا (يقصد حبيبته) تغيرت فعلا الحياة أمامي لقد ساعدتني كثيرا، أحببتها وأحبتني، تزوجنا وغادرنا نحو بولونيا ومنها إلى بارما، ومع قدوم الأبناء ذهبت فكرة كرة القدم من ذهني شيئا فشيئا، حتى وجدت نفسي بين أسوار معمل انتاج شحم الخنزير، والذي لا أزال أشتغل به لحدود الآن[14]».

بنظرة نوربرت إلياس، يُعدّ رابط الحب غير منعزل أو منفصل عن بقية الروابط الاجتماعية الأخرى، بل يُعد مدخلاً لدراسة مختلف الروابط. مادامت التوافقات العاطفية لا تنفصل عن تشكيل[15] ما يسميه ب «النحن» (الهابتوسات الاجتماعية للفرد). ففي مؤلفه السوسيولوجي سيادا للأساطيرLe sociologue chasseur des

13 مقابلة رقم (5)، معطيات العمل الميداني 2023

14 سيرة الحياة رقم (3)، معطيات العمل الميداني 2023

15 أخذ نوربت إلياس مفهوم التشكل عن السوسيولوجيا الألمانية (ماكس فيبر، جورج زيمل، وارنر سمبارت) وأعاده شحنه بمضامين تحيل على خطاطة من التراكب الذي يلحق العلاقات الإنسانية.

عن:

Norbert Elias, Qu’est-ce que la sociologie ? Pocket, Paris, 1993, p.157

Mythes ساءل الرابط الاجتماعي من خلال علاقات الحب وعلاقات الزواج في المجتمع البريطاني المعاصر، منطلقا من تفكيك أسطورة كيوبيد[16]، حيث لاحظ إحصائيًّا أن الزيجات في المجتمع البريطاني لا تتم خارج نفس الطبقة الاجتماعية لتموقع الزوجين[17]، وكأن سهام كيوبيد محكومة بمحددات طبقية صارمة.

«كنت أواعد فتاة من مدينة بارما، كانت واقعة في حبي تماما، لكنها بمجرد معرفتها بوضعيتي كمهاجر دون أوراق آنذاك، حتى انفصلت عني فورا[18]».

يبني المهاجر المغربي رابطه العاطفي داخل نفس الوحدة الاجتماعية التي يتموقع داخلها؛ إذ نسجل ملاحظتين أساسيتين: أولا الرابط العاطفي هو رابط اجتماعي في عمقه، يبنى من خلال التقاربات بين الزوجين (الأذواق الاجتماعية، التصورات العامة للحياة، اللذة، الآلام[19]...)، ثانيا على الرغم من كون طبيعته العاطفية التي قد تحيل على توافقات ومحددات سيكولوجية، إلا أنه لا يبنى خارج بنيات المراقبة الصارمة التي توجد داخل الوحدات الاجتماعية[20].

«دعني أقول وأنا الذي تجاوزت إقامتي في إيطاليا قرابة 43 سنة، أن الجمال والخير موجود في الجنوب، والمال والشر موجود في الشمال، ها أنت تنظر في بارما الناس منغلقين جدا مقارنة مع نابولي، حيث الأصدقاء الإيطاليون الطيبون، لو لم يكن لي أبناء ما غادرت نابولي أبدا[21]».

إن المهاجر المغاربي في إيطاليا، هو ذات تتمتع بجميع روابطها الاجتماعية، رابط القرابة حتى وإن كانت عن بعد، رابط الصداقة، رابط الجوار، رابط الحب... إنها روابط تعبر ضمنيا عن بعد مجالي. الشيء الذي يجعلنا لا نختزل المجال في هذا التحليل المجال في كونه مجرد وعاء أو مسرحا لأحداث اجتماعية، وإنما نعتبره محددا اجتماعيا يلعب على سلم الاختيارات الفردية، مادام هو الأخر مشحون سياسيا، اجتماعيا، اقتصاديا، ثقافيا وعاطفيا.

---

16 كيوبيد هو إله الحب في الأسطورة الرومانية، حيث كان يعتقد فيه أنه يحمل قوسا وسهاما. حيث إذا ما أصاب بها رجل وامرأة يقعا في حب بعضهما البعض ويكون مصير هذه العلاقة إلى أن تنتهي بالزواج.

17 سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، ترجمة منير السعيداني، مركز دارسات الوحدة العربية 2012، ص: 45

18 سيرة الحياة رقم (4)، معطيات المعمل الميداني 2023

19 انفتح نوربت إلياس في دراسته لتطور القيم والمعايير في أوروبا الغربية في مؤلفه « civilisation des mœurs et la dynamique de l'occident » على مفهوم الكبت عند سيجموند فرويد ليبرز أن الكبت انتقل تاريخيا من الكبت الجماعي إلى كبت ذاتي.

عن:

Thierry paqout, Un philosophe en ville: introduction à la philosophie de l'urbain: essais, Infolio, Gollion (Suisse), 2016, p. 51.

20 Norbert Elias, Qu'est-ce que la sociologie ?, Pocket, Paris, 1993. p.164

21 سرة الحياة، رقم (1)، معطيات العمل الميداني 2023

تتأس روابط ذات المغربي في إيطاليا على مبدأي الحماية والاعتراف، على الرغم من كونها تنتمي لحلقات معيارية مختلفة[22]، حيث يسعى المهاجر إلى توفير أكبر قدر من الحماية Compter-sur بصفته فردا معرضا باستمرار في سيروراته ومساراته المتعددة لحالات الهشاشة، لذلك فهو محتاج لحماية كيفما كانت طبيعتها جماعية أو مؤسساتية، تبقى قيمتها وشدتها مرتبطة بتعدد الروابط التي بناها خلال مساره الهجروي؛ فقد تتأرجح ما بين الحماية الأسرية أو حماية الأصدقاء أو تلك التي المرتبطة بأنظمة الحماية التي يوفرها النظام الحكومي الإيطالي، لكنها تبقى ضرورية كي يكتمل التواجد الاجتماعي.

بعد توفير المهاجر لأشكال من الحماية المتفاوتة الشدة ما بين الودية والمؤسساتية، ينطلق نحو البحث عن انتزاع الاعتراف Compter-pour، مادام هو ذات تبحث عن الاهتمام، فعلى غرار الحماية فالاعتراف كذلك يتأسس على تعددية الروابط المبنية، فمثلا صحيح أن الرابط الأسري يوفر الحماية، ولكنه أيضا يوفر اعترافا للمهاجر المغربي، وفي كثير من الأحيان يسعى لانتزاعه من الآخر، من خلال نهجه مجموعة من الاستراتيجيات المتاحة.

«لقد أسست جمعية هنا في مدينة بارما بمعية مجموعة من النساء المغربيات من أجل غاية كبرى كانت عندنا هي أن نبين للإيطاليين أننا شعب متحضر ولنا ثقافتنا الخاصة والعريقة[23]». ويمثل بوغام لهذا، من خلال مثال الأسرة، حين يثني أبوين على نجاحات أطفالهم فإن ذلك يعطيهم الإحساس بالتقدير والاعتراف وينعكس إيجابا على قوة هذا الرابط[24].

3. مدينة بارما: إعادة تشكل من خلال استعمالات المهاجرين المغاربة للمجال

قدمت لنا تقنيتي المقابلة المعمقة وسيرة الحياة، مجموعة من المعطيات التي تهم البنيات المجالية الداخلية لمدينة بارما، حيث 13 فردا من أصل عشرين مبحوث يريدون مغادرة الحي الذي يقطنون فيه، وهي تقريبا ذات النسبة التي أكدت أنهم يشعرون بكونهم منعزلين في أحياء وإقامات سكنية، لا تعدو أن تكون بالنسبة إليهم سوى عنابر للنوم لا أكثر، يزيد هذا الإحساس كلما انطلقنا من مركز مدينة بارما نحو هامشها، حيث يزيد التعبير الهامشية والانعزال، فالمجال الضاحوي أفصح لنا عن معطيات سوسيو-مجالية متباينة، فكلما ابتعدنا عن المركز نبتعد عن الكثافات الفيزيقية والأخلاقية العالية للمهاجرين المغاربة. فمثلا بلدة «لانغيرانو[25]» الذي لا تبعد عن مركز بارما سوى ب 23 كيلومتر، تعرف تمركزا أقل للمهاجرة مقارنة مع مدينة بارما.

22 Norbert Elias, La société des individus, Paris, Fayard, 1991, op.cit. p.12

23 مقابلة رقم (5)، معطيات العمل الميداني 2023

24 Le lien social: Entretien avec Serge Paugam, Anne Châteauneuf-Malclès, Publié le 06/07/2012: http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136

25 مركز حضري صغير تابع، تتركز فيه مجموعة المصانع وبعض المساكن ذات السومة الكرائية الضعيفة مقارنة مع مدينة بارما المركز.

يشكل مركز مدينة بارما المجال الأكثر برجزة، مقابل الفقر والعزل الذي يرتبط بالمجالات الضاحوية وشبه-حضرية، ذات الارتباط الوثيق بالطبقات ذات الدخل المتوسط والمتدني، الشيء الذي يجعل هذه المجالات ذات مجالية اجتماعية وثقافية متعددة ومختلفة الدرجات، فالمهاجر يلجأ إلى الضواحي القريبة كلانغيرانو، فيلينو، سيسا، فيدينزا، ساسلو-مادجوري، كاليرنو... لأسباب اقتصادية محضة بسبب سومة الكراء والمستوى المعيشي الذي تقدمه لشرائح متوسطة الدخل، لكنها تبقى معرضة دائما للمغادرة لأسباب ثقافية واجتماعية في المقابل.

«مكنني رئيسي في العمل من سكن بشكل مجاني يتواجد بالقرب من فيلينو لكنني لم أستطع أن أكمل فيه السنة، لا شيء يوجد هناك، الحانات تقفل باكرا، لا أحد لتجالسه، مللت الحياة هناك تماما[26]».

في مساءات مدينة بارما المركز، يمكنك أن تضع خريطة لتواجد المهاجرين المغاربة، فهناك أربع إلى خمس مقاهي يترددون عليها (Caffè Cinese[27], Bar Napolitano[28], Caffè Stazione[29], Caffè Liddell[30], Trento[31])، بالإضافة إلى الحديقة العمومية (باركو دوكالي[32]) التي تستوطنها النساء، ففي صباحات يوم الأحد يمكنك أن ترى الشاي المغربي والأطباق التقليدية المغاربية على سفرات فوق عشب الحديقة، حيث النقاشات الأكثر خصوصية وحميمية، حيث يمكنك أن تأخذ استشارات قانونية، كتلك المتعلقة بطلب تصريح الإقامة، بل أكثر من ذلك يمكنهن أن يعثرن لك عمل، كما يمكنك معرفة بسهولة مصير زواج فلان مع فلانة، وهل فلانة أخذت الجنسية أم لا، في حين يجد الذكور الحديقة مجالا للشر.

«صديق لي قام بجلب زوجته من تونس عن طريق التجمع العائلي، في الأول كانت زوجة مهتمة بمنزلها وبطفلتها، وما إن أصبحت تتردد على باركو دوكالي مع صديقاتها التونسيات والمغربيات حتى خلقت مشاكل مع زوجها، ثم بعد ذلك طردته من المنزل[33]».

إنها سيرورات متواصلة ومتراكبة لإعادة شحن مجالات/ أمكنة مدينة بارما بمضامين ثقافية مغربية. قاربت الأطروحات الماركسية الجديدة[34] المجال الحضري خلال سنوات السبعينيات من خلال سؤالي التوزيع المجالي للفئات الاجتماعية والمحددات الاجتماعية والمعنى المعاش في الممارسات المجالية. منتصرة لأطروحة: أنه ما

26 مقابلة رقم (3)، العمل الميداني 2023

27 يتواجد في آخر شارع بيكسيو

28 شارع جاليباردي

29 محادي لمحطة القطار

30 بالقرب من المركز التجاري ليديل

31 بشارع ترينتو محادي لمحل المأكولات السريعة الذي هو في ملكية تونسي

32 يتواجد بالقرب من دار الفن لمدينة بارما بالمحاداة لقنطرة جوزيبي فيردي

33 سيرة الحياة رقم (1)، معطيات العمل الميداني 2023

34 كأعمال هنري لوفيفر حول إنتاج المجال وأعمال هنري مندراس حول المجالات القروية وأعمال جون بول شمبارد دي لو حول باريس: التجمعات السكنية الكبرى وأعمال رينود وآلان تورين ومانويل كاستلز.

دامت هناك تراتبية اجتماعية، فالتوزيع المجالي للفئات الاجتماعية سيعكس تلك التراتبية[35]؛ أي بمعنى هناك مجالات ستصلها مجموعات دون أخرى. لتكون إمكانيات نسج الرابط الاجتماعي تتم من خلال التراتبية المجالية التي هي في الأصل نتاج عن تراتبية اجتماعية. ومن جهة أخرى هذه المجموعات المشكلة اجتماعيا والموزعة مجاليا تصبح فيما بعد خاضعة للمراقبة من طرفهم، فهي تسمح لأفراد بالدخول إليها دون غيرهم[36].

يصير سؤال الوصول إلى مجالات وفئات اجتماعية معينة، مدخلا لامتحان دور الموارد والقيود وتأثيرات المجالات الحضرية في تطوير مختلف الروابط والتبادلات الاجتماعية، نحو تحليل أهمية الأفعال والإيماءات التي تربط المجال بأهمية التشكلات الكبرى والحوافز الاجتماعية (كالمجالات العامة المولدة للرابط)، للاستخدامات المشتركة لمجال يعدّ مطبوعا بالتنوع Mixité، لتحليل سيرورات إعادة تكوين الرابط أو بلقنته. مساعي تجعل من الضرورة تجاوز مقولات البراديغمات الكلاسيكية: «المجال هو عاكس أو رافض»، حيث تصف Françoise Navez-Bouchanine هذه التصورات ميتة[37] وتدعو لبناء معرفة قادرة على استيعاب تنوع التفاعلات داخل الأشكال الاجتماعية في عوالم حضرية جديدة، والتي تستند على ألعاب Jeux لا منتهية متداخلة ومستقلة نسبيا وسياقية مع الوضعيات المرصودة.

لذلك، انطلقت الباحثة من سؤال المعنى المعطى للتفاعلات السوسيو-مجالية، والتي تتزايد بشكل عام، في إطار عدم وضوح الحدود بين ما هو خاص وبين ما هو عام. فبنظرها إن سوء الفهم الحاصل هو راجع للارتباك حول الرابط الاجتماعي؛ إذ تؤكد ضرورة التخلي عن التصور الأسطوري الذي يجعل منه دائما يشير إلى موقف أخلاقي، يبنى من خلال هوية مشتركة ومن خلال الحاجة لمجتمع تضامني[38]. فتعميم التعمير اليوم والتفتت الحضري أفرد مجالات حضرية بتنوع وبتعدد للروابط وللتبادلات الاجتماعية، سواء كانت قوية أو ضعيفة، تضامنية أو صراعية، دائمة أو ظرفية.

35 Alexis Ferrand, La formation des groupes de jeunes dans l’espace urbaine, OpenEdition 3 mai 2019. p. 1

36 Ibid. p. 3

37 François Navez Bouchanine, Les lieux des Liens Sociaux, Espace et société N126/ 2006, p. 16

38 Ibid.

II. المهاجر المغربي: المسارات واستراتيجيات الاندماج

1. داخل إيطاليا

من خلال مقارنة المسار الخاص الذي يقطعه المهاجر المغربي نحو إيطاليا مقارنة مع البنيات المستقبلة (نقصد الفرص المحتملة المتاحة اجتماعيا واقتصاديا)؛ انتهينا مع مبحوثينا إلى أن الفرص الاقتصادية المتاحة في الشمال هي الأكبر والأكثر تعددية عن تلك الموجودة في جنوب إيطاليا، وإلى أن مخيال المهاجر المغربي يقابل بين إيطالي الشمال وإيطالي الجنوب، من حيث تقبلهم للمهاجرين ومن حيث سهولة الاندماج معهم والانخراط معهم في روتين حياتهم اليومية. وباستحضار السياقات الماكرو المغربية للهجرة نحو إيطاليا عموما، والتي فصلنا فيها في المحاور السابقة. اتجهنا نحو الميكرو، أي نحو السياق الخاص/ الذاتي الذي شكله الفرد من خلال تفاعله من البنيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المشكلة قبله، باحثين عن الكيفيات التي يعيد بها تشكليها وإعادة تشكيل ذاته على التوالي.

لننطلق من السنوات الأولى لجهرة المغربي بإيطاليا، التي تشكل سنوات للاكتشاف، الذي يكون غالبا دون أدوات، نقصد التكوين والمؤهل العلمي واللغة. «دعني أقول لك خلال الشهور الأولى كنت كالأبكم لا أتعامل مع الناس سوى بالإشارة[39]». ففي هذه الشروط تكون الاختيارات محدودة، فالسكن يكون مع العرب في الغالب، ومع المغاربيين تحديدًا، في مساكن مجاورة لمقر العمل.

«أنت لا تعرف الثلج في ريدجو كالبريا، وكنا نستيقظ باكرا ونذهب إلى ما يشبه موقف العمال غير الشرعين، حيث تأتي العربات التي تتعزل في أطولنا، وفي من يملك منا قوى عضلية، وينقلونا إلى الضيعات، حيث نجني الليمون[40]».

تشكل السنوات الخمس نقطة انطلاق مشتركة بين أغلبية المهاجرين، خصوصا غير النظاميين الذي قدموا دون مؤهلات سوسيو-مهنية من حيث استراتيجيات السكن وفرص العمل المتاحة أمام وضعيتهم القانونية، إلا أنه بعد ذلك ندخل مباشرة في المسار الخاص المرتبط ببناء الروابط المؤسسة للاندماج الاجتماعي. كيف ذلك؟

كانت السنتان الأوليان كافية لبعض مبحوثينا لتعلم اللغة أو على الأقل لتعلم الأساسيات (لكن في المقابل الآخر الست سنوات وأكثر لم تكن كافية)، فبالإضافة إلى الاستعدادات الذاتية تكون المؤهلات الشخصية، قوى محركة لنسج الروابط الأولى للمهاجر.

---

39 سيرة حياة رقم (2)، معطيات العمل الميداني 2023

40 نفسه.

«منذ سنتي الأولى خلقت صداقات مع إيطاليين، كنا نحتسي سويا البيرا بشكل يومي، كنا نسافر سويا، لقد استقبلوني بشكل جيد، وساعدني في ذلك تعلمي السريع للغة الإيطالية لأنني كنت أتقن اللغة الفرنسية جيدا، لأنني اشتغلت مرشدا سياحيا سريا لسنوات بين مدن مراكش وورزازات وأزيلال، كما أنني كنت أعلم عادات الأوروبيين جيدا، الشيء الذي جعلني أشتغل مع إيطالي في مطعمه في نابولي كنادل لأنني كنت أجيد الفرنسية والإنجليزية وأركب بعض الجمل بالإسبانية[41]».

لكن في المقابل الآخر، نجد من عمّر طويلا في وضعيته الأولى.

«..كيف سيحصل ذلك.. لا لغة ولا شيء، كنت أمزح مع أصدقائي في القرية، حتى وجدت نفسي على قارب فوق المياه، وفي الغد وجدت نفسي مع العشرات من المهاجرين غير الشرعيين في حقول لا تنتهي[42]».

تحكم أنشطة المهاجرين بصفتهم ذواتا موجودين في الزمان وفي المجال قيودًا وموارد، فهم يتنجونها ويعيدون إنتاجها خلال تفاعلاتهم[43].هذه المفهمة تفتح إعادة تأويل لعبارة للبنية المجالية وللقيود البنيوية التي تتحكم في إنتاج أنماط من الروابط الاجتماعية للمهاجرين وتسمح بنشوء أخرى، فالبنية تُنتج ويُعاد إنتاجها، فهي بهذا بالمعنى غير خارجة عن وعي المهاجر المغربي؛ لأنها المشكلة لأفعاله، وهي في الآن ذاته هي إطار من القيود «إنها في الآن ذاته فرصة وقيد[44]»، حيث نرفض ما فوق الاجتماعي (الماكرو)، وما تحت الاجتماعي (الفرداني) في نسج الرابط الاجتماعي. ليكون المجال هو المكان الذي يحدث فيه شيء ما، فالمجالات هي المعطيات المكانية للمؤسسات، فالمجال شبيه بالمدرسة «المدرسة هي حاوية تولد السلطة التأديبية[45]».

2. داخل بارما

في مجتمع الذي اشتغلنا معه، تنقل عدد من مبحوثينا بين عدد مهم من المدن الإيطالية قبل وصولهم إلى بارما، وتعددت دوافعهم حسب مشاريعهم وانتظاراتهم الخاصة، فهناك الذي كان يحلم بأن يصبح لاعبا محترفا لكرة القدم، لم يجد حلمه في إيطاليا، لكنه في المقابل عثر على حب حياته وتزوج وكون أسرة واستقر في المدينة كعامل في ضاحية المدينة. والذي كان يصف نفسه بأنه مهني في صنع الحلويات، اشتغل في الضيعات الفلاحية واشتغل كبائع متجول، قبل أن يجد ما كان يبحث عنه في مدينة بارما بعقد عمل يصفه «بالمحترم»، وهناك من وجد نفسه داخل أسوار السجن لتورطه في أعمال مخالفة للقانون، ليقضي سنوات متنقلا بين

41 سيرة الحياة رقم (4)، معطيات العمل الميداني 2023

42 سيرة الحياة رقم (5)، معطيات العمل الميداني 2023

43 Mohamed Kechidi, La théorie de la structuration Une analyse des formes et des dynamiques organisationnelles, IN: Relations industrielles / Industrial Relations, Volume 60, numéro 2, printemps 2005.p.349

44 Ibidem.

45 Anthony Giddens, New Rules of Sociological Method: A Positive Critique of Interpretative Sociologies. London: Hutchinson, 1976, p.135

سجون إيطاليا ليجد نفسه في الأخير إماما لمسجد يجمع التبرعات ويحث المصلين على التصدق من أجل بناء المسجد الذي يبدو أنه لن يكتمل أبدا بسبب النزاعات الدائمة حوله.

«صحيح لما كنت شابا كنت طائشا، وكتب علي المكتوب، لكن الله يتوب ويغفر، فقد استغليت فترة عقوبتي في السجن من أجل مراجعة نفسي وتصحيح الأخطاء، والحمد لله بعد سكني في بارما، تمكنت بصحبة مجموعة من الصالحين من بناء هذا المسجد الذي تنظر إليه[46]».

إن الإمام (بصفته فردًا مهاجرًا) حسب ملاحظاتنا المشاركة لا يشترط فيه العلم الكافي للإمامة، فقط حفظ بعض السور من القرآن الكريم أو تلاوتها من المصحف وترديد بعض الأحاديث النبوية، حتى تخول له الإمامة، فاستهلاكه للسجائر أمام أنظار المصلين لا يشكل عيبا أو حتى في الحالات التي يعرف عليه فيها تعاطيه للمخدرات ولشرب الكحول لا تشكل فضيحة أو مدعاة لعزله كما الحال هناك؛ أي في المجتمع المغربي، فهو يحصل سلطة رمزية من خلال ربطه لعلاقات مع الإدارات الإيطالية، حيث يحضر الاجتماعات التي ينظمها العمدة، يقول الإمام المبحوث: «إن العمدة يأخذ مشورتي في كل صغيرة وكبيرة».

ومرد ذلك إلى القاعدة الجماهيرية التي يخاطبها الإمام أو يوجهها بتعبير أدق، والتي تشكل القاعدة الكبيرة من المهاجرين المسلمين في مدينة بارما (لأنها مشكلة من المهاجرين المغاربيين). إنها فئة صامتة، والتي يبدو أنه يراد لها أن تبقى صامتة، من خلال الخطاب الممارس في المساجد، الشيء الذي يفسر غض الطرف من قبل الشرطة الإيطالية عن التجاوزات والسقطات الكثيرة لكثير من الأئمة، مقابل تمرير خطاب يتوافق والتوجهات العامة والمحلية للتوجهات السياسية الإيطالية، كما يلاحظ بخصوص التدين في إيطاليا، أنه مكلف جدًّا من الناحية الاقتصادية، فما إن يسلم الإمام في صلوات التراويح حتى ينهض شخص يحمل سطلا ويحث على التصدق، حتى في الحالات التي لا يملك فيها المصلي المال سيولة، يمكنه التأدية ببطاقته الائتمانية، فعدد من خطب الجمعة التي عايناها نسمع تقريبا نفس الموضوع المتمحور حول التصدق.

لقد برزت استراتيجية جديدة للاستقرار وللاندماج لدى بعض المهاجرين المغاربيين من خلال استثمارهم في الشأن الديني، عن طريق الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية. إنه ميدان مربح جدا، إنه حقل للاستثراء مقابل ديمومة الصمت، إنه حقل للصراع، وفي بعض الحالات للعراك بالأيادي والأسلحة البيضاء داخل قاعات الصلاة.

شُحنت مدينة بارما فعلا بمضامين تعبر عن ثقافة المجتمع المغربي، فيكفيك أن تتواجد يوم الأربعاء أو يوم السبت بساحة «IL Militare» أو بالأحرى ما يسميه المهاجرون المغاربيون بـ «لمكسل[47]»، لتجد نفسك داخل سوق شعبي شبيه بسوق النحاسين أو سوق العطارين بتونس العاصمة أو بسوق القريعة بمدينة الدار البيضاء،

46 سيرة الحياة رقم (1)، معطيات العمل الميداني 2023

47 إنه تمثال لمحارب إيطالي في الساحة التاريخية لمدينة بارما

حيث التجار البكاستانيين والمغاربة يبيعون المواد الغذائية والأقمشة وأجهزة الخردة. إنه سوق لا يمكنه حصره في وظيفيته الاقتصادية، بل يتجاوزه إلى أدوار ثقافية وهوياتية، حيث يتم الاستعراض الثقافي والتفاوض الهوياتي[48] ما بين التجار المغاربة ونظرائهم من جنسيات مختلفة ومع الإيطاليين على مجالات بارما المحلية المطبوعة بروح نابليون الفرنسية[49].

إن المجالات هنا تنزع على نحو مزدوج، فنحو الكونية من خلال انخراط المجتمع الإيطالي في أسواق دولية، مفتوح على تدفقات للغيريات وللثقافات المعولمة، وفي الآن ذاته فهي تُشحن بمضامين محلية تمتح وتعبر عن ثقافات مغربية، سواء من خلال الاستهلاك المكاني أو من خلال استعمالات المجال، فداخل الإقامات السكنية المدعمة من طرف الدولة، يمكنك أن تشم رائحة التوابل الهندية في الأطباق المغربية، ويمكنك أن تشارك في عقيقة عائلة تونسية بالبيتزا الإيطالية، وأن تبارك لزوجين إيطاليين عيد الميلاد بطبق الكسكس المغربي، وأن تسمع تلاوة القرآن، وأن تأكل أطباق الباستا والفوكاتشا الإيطالية في مائدة الرحمان للإفطار المفتوحة للعموم بالقرب من مركز التكوين «CPIA»، التي يقتسم فيها المغاربيين والأفارقة مع بعض الإيطاليين الأكل ويبنون مسارات ومضامين جديدة للمدينة.

48 Voir:

Michèle de La Pradelle, Les vendredis de Carpentras: faire son marché en Provence ou ailleurs, Paris, Fayard. 1996

49 نسبة لماريا لويز الزوجة الثانية لنابليون، التي حكمت ذوقية بارما الإيطالية.

خلاصات وتراكيب

لقد حاولنا مقاربة سؤال الروابط السوسيو-مجالية للمهاجر المغربي، من خلال النظر المزدوج في روابطهم الاجتماعية وفي مساراتهم الخاصة المتعلقة بالهجرة، لننتهي إلى ما يلي:

الرابط السوسيو-مجالي عند المهاجر المغربي يستند على مسار خاص هجروي، وينعكس (أي الرابط السوسيو-مجالي) بشكل ديناميكي في بناء المسارات الخاصة، فالمهاجرون المغاربة صحيح يشتركون في بعض نقط الانطلاق المتعلقة بدوافع الهجرة، لكنهم يحملون مشاريعا خاصة بهم من الهجرة، تتدخل كقوى محركة في بناء المسار الخاص داخل المجتمع الإيطالي، هذا المسار الخاص بدوره يكون نتيجة لروابط سوسيو-مجالية: فهناك من نسج رابطا عاطفيا، فتزوج وكون أسرة ليشكل بذلك مسارا متفردا من خلال نسجه لرابط حب، وهناك من مسته أزمة مجتمع المأجورية، حيث تضرر رابطه المهني، لذلك ترك المدينة وتوجه نحو أخرى، وهناك من وجد بنو قبيلته «الكثافة الأخلاقية» متمركزة في بارما فالتحق بهم واستقر في المدينة، فهو يسكن بالقرب منهم، حيث يلتقون بشكل دوري ويشاركون بشكل جماعي في المناسبات الدينية وفي المناسبات الخاصة.

لذلك فالاندماج هنا، يكون سيرورة متواصلة غير مكتملة، فهي قد تصل إلى مستويات عالية حسب متانة وشدة وتعددية الروابط السوسيو-مجالية، وقد تصل إلى حدود دونية في حالات الأزمات المادية أو في حالات الانقطاعات في الروابط، الشيء الذي تفسره العودة إلى البلد الأصل وتفسره المغادرات نحون مدن أخرى أو نحو مجتمعات أخرى كالمجتمع الألماني، البلجيكي أو السويسري.

إن اندماج المهاجرين المغاربة مبني على تجربة هجروية، حيث المسار الخاص يشكل تجربة ذاتية فريدة خلاقة من التفاوضات الهوياتية بين الفرد/ الذات، وبين الغيريات المتواجدة في المجتمع الإيطالي، فالمسار الطويل من الهجرة والذي لا نقيسه فقط بسنوات الإقامة، ولكن أيضا من خلال الترحال بين المدن ومن خلال مختلف الأنشطة والتجارب المزاولة، فإمام مسجد قضى عقوبة سجنية متنقلا بين المؤسسات السجنية الإيطالية، يمكنه أن يصف لك جيدا جغرافية إيطاليا من شمالها إلى جنوبها، بشكل يثير دهشة الإيطاليين أنفسهم، ويمكنه أن يجد لك ثغرة قانونية للإفلات من بعض الضرائب المالية، لأنه يعرف المساطر القانونية الإيطالية دون أن يدرسها في الجامعة، تمكن من بناء رأسمال اجتماعي، يتجلى في قوة الإقناع وفي فن الخطابة اللذان يمكنانه من إقناع الإيطاليين والمغاربيين على حد السواء.

لكن في المقابل الآخر، عثرنا على من تجاوزا ما يقارب 20 سنة من الإقامة في المجتمع الإيطالي ولكنهم لا يتحدثون اللغة جيدًا، ليست لهم دراية بأبسط المساطر المرتبطة بالإدارات، فهم يترددون بشكل دوري عند الحاجة على مكاتب الاستشارة التي يشرف عليها مهاجرون «CAF»، ففي خلال قيامنا بسيرة الحياة مع بعضهم، يعبرون عن عدم اندماجهم بعد من خلال ما يلي:

أولا من خلال عدم قدرتهم على تكلمهم اللغة الإيطالية، لأنه في الغالب لم يختلطوا بالإيطاليين بشكل كاف، فما دام الرابط القبلي حي في المجتمع الإيطالي، فهو يغنيه عن تلك الموجودة في المدينة، هذه الوضعية تنتشر أكثر في صفوف النساء اللواتي التحق بأزواجهن ورابطن طويلا في المنازل؛

ثانيا عدم ربط علاقات أو ارتباطات اجتماعية جديدة، لا نقصد أنه لا يملكها، وإنما لم يستطع نسجها مع المجتمع والثقافة الإيطالية، فهو كما ذكرنا يكتفي بروابطه مع أبناء قبيلته أو يقيم أخرى مع مهاجرين مغاربيين، دخل المسجد أو في المقاهي، في الحدائق وفي الأسواق التي يتردد عليها المهاجرون المغاربيين؛

ثالثا بروز قوى معارضة، حيث من المهاجرين المغاربة من يقاوم ويعارض الكثير من العناصر الثقافية الإيطالية، يقول المبحوث: «أنا تزوجت منذ سنة 2007، وتركتها في المغرب ولن تأتي أبدا إلى هنا، قل لي كيف سأربي أولادي هنا؟ أريد لأبنائي أن يظلوا مسلمين». إنه نوع من المهاجرين الذي ينهجون استراتيجية انتقائية خلال مسارهم، فهم صحيح يتفاوضون حول قيم معينة، ولكن في الآن ذاته يعبرون عن رفضهم المطلق لبعض السمات الثقافية كاللباس، التدين، الاختلاط مع الإيطاليين (الذين يعتبرونهم نصارى/أبناء عيسى).

بيبليوغرافيا

*- باللغة الإيطالية

1. CITTADINI NON COMUNITARI IN ITALIA | ANNI 2021-2022, In ripresa le migrazioni dopo il Covid, anche per l'emergenza ucraina, ISTAT 25 OTTOBRE 2022
2. Cittadini stranieri in Emilia-Romagna, Centro stampa Regione Emilia-Romagna, ottobre 2019
3. Fonte: elaborazioni Rapporto Immigrazione Caritas-Migrantes su dati ISTAT
4. La comunita' marocchina in Italia Un ponte sul Mediterraneo, Ricerca curata su incarico del MINISTÈRE CHARGÉ DE LA COMMUNAUTÉ MAROCAINE RÉSIDENTE À L'ÉTRANGER e della AMBASCIATA DEL REGNO DEL MAROCCO IN ITALIA, Consorzio AGE - Pomezia per conto di Inprinting srl dicembre2013
5. MAPPATURA DEI TUNISINI RESIDENTI IN ITALIA, PROFILO SOCIOECONOMICO E PROPENSIONE ALL'INVESTIMENTO IN TUNISIA, © 2020 Organizzazione internazionale per le migrazioni (OIM)
6. Oliviero Forti, Le migrazioni internazionali IN: Rapporto Immigrazione 2020, CARITAS E MIGRANTES 2020

*- باللغة الفرنسية

1. Alexis Ferrand, La formation des groupes de jeunes dans l'espace urbaine, OpenEdition 3 mai 2019
2. Catherine wihtol de wenden, L'immigration découvrir l'histoire, les évolutions et les tendances des phénomènes migratoires, Groupe Eyrolles Paris 2017
3. Emmanuelle Lenel, L'espace des Sociologues recherches contemporaines en compagnie de Jean Remy, ères 2018
4. François Navez Bouchanine, Les lieux des Liens Sociaux, Espace et société N126/ 2006
5. Le lien social: Entretien avec Serge Paugam, Anne Châteauneuf-Malclès, Publié le 06/07/2012: http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136
6. Le Matérialisme Socioculturel et l'espace: Genèse d'une problématique, Entretien avec Jean Remy, In: L'espace des Sociologues recherches contemporaines en compagnie de Jean Remy, ères 2018
7. Michèle de La Pradelle, Les vendredis de Carpentras: faire son marché en Provence ou ailleurs, Paris, Fayard. 1996

8. Mohamed MGHARI et Mohamed FASSI FIHRI, Cartographie des flux migratoires des Marocains en Italie, Organisation Internationale pour les Migrations (OIM) 2010

9. Mohamed Kechidi, La théorie de la structuration Une analyse des formes et des dynamiques organisationnelles, IN: Relations industrielles / Industrial Relations, Volume 60, numéro 2, printemps 2005

10. Norbert Elias, La société des individus, Paris, Fayard, 1991

11. Norbert Elias, Qu'est-ce que la sociologie ?, Pocket, Paris, 1993

12. Thierry paqout, Un philosophe en ville: introduction à la philosophie de l'urbain: essais, Infolio, Gollion (Suisse), 2016

*- باللغة الإنجليزية

1. Anthony Giddens, New Rules of Sociological Method: A Positive Critique of Interpretative Sociologies. London: Hutchinson, 1976

*- باللغة العربية

1. سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، ترجمة منير السعيداني، مركز دارسات الوحدة العربية 2012

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com